"دور المُؤَدِّبين في انتشار التيارات الفكرية وتنوعها بقرطبة "من الفتح حتى انتهاء دولة بني جهور (٩٢-٥٥٠٠/ ٧١١-١١٠٦م)"

الباحثة/ شوهندة محمد حامد محمد الخطيب

الملخص:

كان للمُؤَدِّبين دور كبير وبارز في تنوع وانتشار التيارات الفكرية على اختلاف أفكارها ومدارسها، وبفضل هؤلاء المؤدبين تواجدت بقرطبة الفرق العقائدية المختلفة عبر العصور؛ كالمعتزلة والأشعرية، والشيعة، كذلك المذاهب الفقهية التي تنوعت ما بين المذهب المالكي، والأوزاعي، والظاهري، والشافعي، وفي هذا البحث بيان وعرض لهذا الدور الذي قام به المؤدبون، من خلال التعرف على هذه الفرق العقائدية والمذاهب الفقهية التي دخلت إلى قرطبة عن طريق رحلاتهم العلمية وتدريسهم لمناهجها، كيف دخلت؟ ومن قام بتدريسها؟ والتعرف على بعض مؤلفاتهم.

الكلمات المفتاحية المُؤَدِّبين، قرطبة، المذاهب الفقهية، المعتزلة، المذهب الأوزاعي

Abstract:

The Preceptors had a great and prominent role in the diversity and spread of intellectual currents according to their ideas and schools; Thanks to them, the various ideological groups were present throughout the ages in Cordoba; Like Mu'tazilah, the Ash'ari, and the Shiites, as well as the jurisprudential doctrines that varied between the Maliki school, Al -Awza'i, Al -Dhahiri, and Al -Shafi'i.

In this research, a statement and presentation of this role that the Preceptors played by identifying these ideological groups and jurisprudence doctrines that entered Cordoba through their scientific trips and teaching them to their curricula, how did they enter? And who taught it? Get to know some of their books .

Keywords : The Preceptors, Cordoba, Al -Awza'I, Mu'tazilah, jurisprudence doctrines

مقدمة:

إن من أخطر ما يقوم به المُؤَدِّب خلال تدريسه للطلاب؛ هي الأمور الفكرية التي تتشكل في العقائد والمذاهب الفقهية، فهو يقوم بتشكيل فكر الفرد وانتماءاته الفكرية، وقد لعب المُؤَدِّبون دورًا مهمًّا من خلال تبنيهم لها والعمل على نشرها عن طريق الرحلات العلمية التي قاموا بها، ومن ثم حملهم لهذه العلوم إلى قرطبة، كذلك من خلال نقلهم للمؤلفات المشرقية إلى قرطبة وقيامهم بتدريسها.

أولًا: الفرق العقائدية:

ظهر في قرطبة عدة فرق إسلامية؛ نتيجة تأثير مؤدبي الدولة، و**الشيعة**[١] من هذه الفرق العقائدية التي كان لها وجود في قرطبة، فممن أسهم في نشر ذلك المذهب؛ المُؤَدِّب عباس بن ناصح الثقفي(ت٢٣٠ه/٨٥٢م)، الذي أوفده أبو مطرف عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨ه/ ٨٨٢-٨٥٢م)؛ لالتماس الكتب القديمة من العراق، فعاد إلى قرطبة بأفكار الشيعة، ومن هذه الأفكار: خروج المهدي، والأئمة السبعة...وغيرها[٢]، ومنهم من لم يجاهر بنزعته الشيعية صريحة، مثل: محمد بن حيون الحجاري(ت٣٠٥/٩٢٢م)[٣]، لكن معاصريه كانوا يتهمونه بالتشيع، ويبدو أنه كان حريصًا على كتمان مذهبه؛ حتى لا يتعرض للاضطهاد من جانب الفقهاء[٤]، والشيعة في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي كانت منحصرة في مذهبي الباطنية والكيسانية[٥]، ثم انتشر مذهب عقائدي آخر وهو المعتزلة، وهناك من جمع بين الاعتزال

---

١ **الشيعة:** الذين شايعوا عليًا على وجه الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصًا ووصية، ويجمعهم القول بوجود التعيين وثبوت عصمة الأئمة. **نشأتهم:** بعد وفاة الرسول (□) سنة ١٢هـ/ ٦٣٢م كان رأي بعض الصحابة أن أولى الناس بالخلافة هم أهل بيت النبي (□) أي: بنو هاشم، وأولى هؤلاء ابن عمه علي بن أبي طالب -هذا نستطيع أن نقول إنه أول حزب سياسي ديني في الإسلام- لكن اجتماع السقيفة انتهى باختيار أبي بكر، ثم عهد بالخلافة لعمر تعيينًا له، ثم ترك عمر بن الخطاب وصية بها ستة من الصحابة؛ لجعل الأمر شورى بينهم، كان من بينهم علي، لكن انتهى الأمر باختيار عثمان بن عفان -كان في الجاهلية تنافس قديم على الرئاسة بين بني أمية وبني هاشم- فبعد تولي عثمان الخلافة مال إلى أهله وعينهم في الوظائف المهمة بالدولة، وانتهى الأمر بقتله، وهنا اتهم الأمويون عليًا بالمشاركة في دمه؛ فنشأ النزاع بين الحزب الأموي والعلوي، وانقلب هذا النزاع إلى حرب، ونشبت حرب طويلة انتهت بأن قبل علي ومعاوية التحكيم، وانتهى التحكيم بنتيجة لصالح معاوية؛ فتسبب هذا في خلق حزب انشق من الحزب الشيعي وهم الخوارج، واستمر النزاع بين علي ومعاوية حتى قتل سنة ٤٠ه. (الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨ه)، الملل والنحل، صححه وعلق عليه: أحمد فهمي محمد، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١/ ١٤٤- ١٤٥، محمود علي مكي: **التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية**، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٣- ٤).

٢ **ابن سعيد المغربي:** أبو الحسن علي بن موسى (ت٦٨٥ه/ ١٢٧٤م)، **المُغرب في حُلى المغرب**، حققه: شوقي ضيف، ط٤، دار المعارف، القاهرة ٢٠٠٩م. ١/ ٤٥- عبد الباقي السيد عبد الهادي، **الفرق الإسلامية في الأندلس في عصر الخلافة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م- ٤٢٢هـ / ١٠٣١م**، حولية سيمنار التاريخ الإسلامي الوسيط، الناشر الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد (٥) ٢٠١٧، ص ٩٤).

٣ **محمد بن حيون:** من أهل طليطلة، يكنى أبا عبد الله (ت ٣٠٥هـ)، سمع بمكة من ابن الأعرابي وابن فراس، وسمع بمصر من عبد الله بن جعفر بن الورد، كان صاحبًا لأبي عبد الله بن مفرج، وسمع من ابن وضاح والخشني ونظرائهما بالأندلس، ورحل إلى المشرق، وكان إمامًا عالمًا حافظًا للعلل. (ابن الفرضي: أبو الوليد عبد الله محمد بن يوسف الأزدي (ت٤٠٣ه/١٠١٢م)، **تاريخ علماء الأندلس**، ط ٢، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٨م، ٢/ ٨٧).

٤ محمود علي مكي، السابق، ص١٧.

٥ الباطنية والكيسانية هما أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي أخذ بثأر الحسين بن علي وقتل أكثر الذين قتلوا حسينًا بكربلاء وكان يسمى كيسان (عبد الباقي السيد عبد الهادي، السابق، ص١٠٤).

والباطنية كابن مسرة (ت٣١٩هـ/٩٣١م)[١]، الذي تبنى أفكارًا مستوحاة من تعاليم الباطنية، يتبين من ذلك أن الشيعة كانت من أخطر الفرق التي دفعت العلماء إلى الرد عليهم، كالإمام ابن حزم (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م) الذي جمع مبادئهم وقام بالرد عليهم من خلال كتابه "الفصل"؛ إذ اتضح تأثيرهم في المجتمع القرطبي من خلال تشيع بعض العرب والبربر في قرطبة، كذلك تسمية البعض بأسماء شيعية، ومنهم من تلقب بأسمائهم؛ فنجد أن محمد بن هشام بن عبد الجبار الذي أطاح بهشام المؤيد بن الحكم المستنصر في عام ٣٩٩هـ/١٠٠٩م قد تلقب بالمهدي، وربما هذه التسمية نتيجة الأثر الشيعي[٢].

المعتزلة:

أما المعتزلة فقد انتشرت بقرطبة عن طريق شخصين؛ الأول: أبو جعفر أحمد بن هارون، والثاني: هو الطبيب أبو بكر بن فرج بن سلام القرطبي الذي سافر إلى المشرق والتقى بالجاحظ، وتعلم على يديه، وهو أول من أسس المدرسة الاعتزالية بالأندلس على أسس بدائية[٣]، ثم ظهر في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي المؤسس الحقيقي لمدرسة الاعتزال وهو محمد بن مسرة القرطبي (ت٣١٩هـ/٩٣١م)[٤]، الذي اتبعه الكثير، وكان يسكن بجبل قرطبة مع مجموعة من أتباعه؛ ليعلمهم المبادئ سرًّا، ومن تلاميذه الذين اشتهروا بمسريتهم في قرطبة أبان بن عثمان بن سعيد(ت٣٨٨هـ/٩٨٨م)، وأحمد بن عبد الوهاب بن يونس[٥]، وأحمد بن وليد بن عبد الحميد بن عوسجة[٦]، وخليل بن عبد الملك القرطبي (٣٢٢هـ/٩٣٤م) المتعبد الذي صاحب ابن مسرة(ت٣١٩هـ/٩٣١م)، وقد تفقه في كتبه وضبطها، وكان في غاية الزهد والورع[٧]، ومحمد بن عبد الله المعافري (ت٣٧١هـ/٩٨١م)[٨]، وبما أن الخليفة الناصر(٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) كان مهتمًّا كثيرًا بالتعليم والعلماء فقد قدَّمَ إليه ابن مسرة (ت٣١٩هـ/٩٣١م) كتابه، لكن تصدى للرد

---

١ ابن الفرضي، السابق، ١/ ١٢٥، - **ابن مسرة (٣١٩هـ/٩٣١م):** هو محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيح، أبو عبد الله القرطبي، ولد سنة ٢٦٩هـ/ ٨٨٢م، وتتلمذ على أيدي علماء قرطبة مثل الخشني (ت٢٨٦هـ/ ٨٨٩م) ومحمد بن وضاح (ت٢٨٧هـ/ ٩٠٠م) وسمع من أبيه عبد الله ، وكان واسع الثقافة، كثير العلم بالأخبار، واسع الرواية للآثار، مفنناً في المعرفة، فيلسوفًا عليمًا طبيبًا ومنجمًا فلكيًّا وأديبًا وشاعرًا وخطيبًا، منسوبًا إلى المعرفة بحذق اللسان والحق للعربية والحفظ للغة.(ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ٢/ ٤١).

٢ عبد الباقي السيد عبد الهادي، الفرق الإسلامية في الأندلس، ص١٠٤، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠.

٣ آنخل جنثالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، نقله عن الإسبانية: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٥٥م، ص٣٢٤- ٢٣٥.

٤ ابن الفرضي، السابق، ٢/ ٦٨٧.

٥ **أحمد بن عبد الوهاب بن يونس:** من أهل قرطبة، يكنى أبا عمر، كان رجلًا حافظًا للفقه، عالمًا بالاختلاف، ذكيًّا، بصيرًا بالحجاج، حسن النظر، قائمًا بما يتقلد الكلام فيه، وكان يميل إلى المذهب الشافعي، وله سماع من شيوخ وقته، وكان له وافر من العربية واللغة، وسار في جملة المقابلين للمستنصر بالله، وقرأ كتب الفتوح، وكان ينسب إلى مذهب الاعتزال. (ابن الفرضي، السابق، ١/٩٣).

٦ **أحمد بن وليد بن عبد الحميد بن عوسجة:** من أهل بجانة، يكنى أبا عمر، يعرف بابن أخت عبدون، وله رحلة إلى المشرق وسمع فيها من أبي الفضل جعفر بن أحمد ابن عبد السلام، كان ينسب إلى اعتقاد مذهب بن مسرة، وهو أحد النفر الذين استتابهم محمد بن يبقى القاضي. (ابن الفرضي، السابق، ١/١٠١).

٧ **ابن الأبار:** أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق: عبد السلام الهراش، إشراف: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت- لبنان ١٩٩٥م، ١/ ٣٠٩.

٨ **ابن مفرج المعافري القرطبي:** محمد بن عبد الله، كان يعتقد مذهب ابن مسرة ويدعو إليه، وقد رحل إلى المشرق وسمع من العديد من الشيوخ، وأدخل إلى الأندلس مؤلفات مهمة في علوم القرآن. (ابن الفرضي، السابق، ص٨٢).

عليه العديد من العلماء، مثل: الزبيدي (ت٣٧٩هـ/٩٨٩م)، والقاضي ابن زرب (ت٣٨١/٩٩١م)، وكان لازدهار المذهب الاعتزالي أثره في بث الخوف في قلوب جماعة أهل السنة؛ مما جعلهم يتعقبون أفكارهم ويهتمون بالرد عليهم، ومن هؤلاء العلماء: ابن حزم الظاهري (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م) الذي كانت له مناظرات لجماعة ابن مسرة، كما قام بالرد عليهم في فصول خاصة من كتبه، مثل: فصل الرؤية وفصل عن القرآن[١].

الأشعرية[٢]:

كان لأهل العلم دور بارز في نشر هذا الفكر الأشعري من خلال رحلاتهم إلى المشرق؛ كالمحدث أبي عمر الطلمنكي (ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)، وأبي عمرو الداني المقرئ (ت٤٤٤هـ/ ١٠٥٣م)، رغم وجود خلاف حول أشعرية كل منهما. وقد راجت الأشعرية وانتشرت أفكارها في عصر الخلافة إلى الحد الذي أدى إلى وقوع معارك كلامية بينهم وبين من خالفهم من الأئمة الكبار، سواء من المالكية أو الظاهرية؛ فقد اندفع ابن حزم (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) يعارضهم بكل ما يملك؛ فصنف كتابه "اليقين في النقض على الملحدين المحتجين عن إبليس اللعين وسائر المشركين" ردًّا على بعض من ألحد من الأشاعرة بالأندلس[٣].

ويتضح مما سبق انتشار الفرق العقائدية في قرطبة عن طريق رحلات العلماء إلى المشرق، أو عن طريق إدخال بعض المؤلفات.

أما **المذاهب الفقهية:** فقد تنوعت ما بين المذهب المالكي، والأوزاعي، والظاهري، والشافعي؛ وذلك نتيجة الاهتمام بعلم الفقه، ومن أوائل هذه المذاهب الفقهية التي عرفتها قرطبة عقب الفتح **المذهب الأوزاعي**، وهو مذهب أهل الشام[٤] في أواسط القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وينسب إلى أبي عمرو عبد الرحمن الأوزاعي[٥]، حمله المهاجرون والقادمون من بلاد الشام إلى الأندلس في عصر الولاة (٩٢-

---

١ **ابن حزم الظاهري:** علي بن أحمد المعروف (ت ٤٥٦هـ)، **الفصل في الملل والنحل والأهواء**، تحقيق: محمد إبراهيم نصر – عبد الرحمن عميرة، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١/ ٣٧٦-٣٩٣ ، ٢/ ٣٤-٣٧.

٢ **الأشعرية:** هم أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المنتسب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما، فهي فرقة كلامية إسلامية، اتخذت الأشاعرة البراهين والدلائل العقلية والكلامية وسيلة في محاججة خصومها، (الشهرستاني، الملل والنحل، ١/ ٨١- مانع بن حماد الجهني، الأشاعرة، مقال على موقع قصة الإسلام، https://islamstory.com/ar/artical/ ٢٠٥٥١) .

٣ عبد الباقي السيد عبد الهادي، **الفرق الإسلامية في الأندلس**، ص١٢٦- ١٢٨.

٤ المقري، **نفح الطيب**، ٣/ ٢٣.

٥ **أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي**، إمام أهل الشام، ولد في بعلبك سنة ٨٨هـ/ ٧٠٦م، ونشأ بالبقاع، ثم استقر في بيروت، سمع من الزهري وعطاء، وروى عنه سفيان الثوري. (ابن خلكان: شمس الدين أحمد بن محمد(ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، حققه: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.٣/ ١٢٧).

١٣٨هـ/٧١٣-٧٥٦م)، وذلك مع الوالي بلج بن بشر القشيري (ت١٢٣ه/ ٧٤٠م)[١] ونال قبول أهل الأندلس؛ لأن تشريعاته تدعو إلى الجهاد، ثم أصبح المذهب الرسمي للإمارة الأموية منذ عصر عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢ه/٧٥٦-٧٨٨م)، وأول من أدخل المذهب الأوزاعي إلى الأندلس تلميذه الفقيه صعصعة بن سلام الدمشقي (ت١٩٢ه/٨٠٨م)[٢]، فكان يروي عن الأوزاعي والفتيا دائرة حوله في قرطبة، وكانت الفتوى في الأندلس على المذهب الأوزاعي.

ومن فقهاء قرطبة على هذا المذهب زهير بن مالك البلوي (ت١٩٢ه/٨٠٨م)[٣]، وقد أظهر فقهاء الأوزاعية الحماسة والجهد لنشر الفقه الأوزاعي وتعميق جذوره؛ حتى يبقى أطول فترة، ويمكن التدليل على ذلك بموقف الفقيه المصعب بن عمران الذي أراده عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢ه/ ٧٥٦-٧٨٨م) لمنصب القضاء لكنه رفض[٤]، وقد اندثر هذا المذهب أو ضعف شأنه بسبب عدم نشر تلاميذ الأوزاعي لعلمه، كما حدث مع مذهب الإمام مالك[٥]، ومن هنا تحول المذهب المتبع في قرطبة من المذهب الأوزاعي إلى المذهب المالكي.

المذهب المالكي[٦]:

غلب في الإمارة الأندلسية المذهب المالكي بعد تولي الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل (١٧٢-١٨٠ه/ ٧٧٨-٧٩٦م)؛ وذلك بسبب رحلة علماء قرطبة إلى المدينة ممن لقوا الإمام مالك، ووفودهم إلى الأندلس، ووصفهم لفضل مالك وسعة علمه[٧]، مثل: الغازي بن قيس (ت١٩٩ه/ ٨١٥م)، وقرعوس بن العباس (ت٢٢٠ه/ ٨٣٥م)، الذين نشرا مذهب مالك[٨]، كذلك داود بن جعفر بن أبي صغير[٩]، ويحيى بن يحيى الليثي

---

١ **بلج بن بشر:** خرج في جيش الخلافة الأموية الذي أرسله هشام بن عبد الملك بقيادة كلثوم بن عياض القشيري لإخماد ثورات البربر (ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد (٦٩٥هـ/١٢٩٥م)، **البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب**، حققه وعلق عليه: بشار عواد معروف- محمود بشار عواد، ط١، دار الغرب الإسلامي، تونس ٢٠١٣م، ٢/ ٣٠-٣١)

٢ **الحميدي:** محمد بن فتوح بن عبد الله (ت٤٨٨ه/١٠٩٥م)، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، حققه وعلق عليه: بشار عواد معروف- محمد بشار عواد، ط١، دار الغرب الإسلامي، تونس ٢٠٠٨م، ١/ ٣٧٩ه، ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، ١/ ٢٤٠، موسى رزق ريحان، **المذاهب الفقهية وسيادة مذهب الإمام مالك بالأندلس**، "مجلة كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- كلية الشريعة وأصول الدين، عدد ٣، ١٩٨٣، ص٢٤٣.

٣ **زهير بن مالك البلوي (٢٥٠ه/٨٦٤م):** من أهل قرطبة، يكنى أبا كنانة، كان فقيهًا على المذهب الأوزاعي، على ما كان عليه أهل الأندلس قبل دخول بني أمية، وكان زهير مضطربًا في السكنى ما بين باجة وفحص البلوط. (ابن الفرضي، السابق، ١/ ٢١٦، الحميدي، السابق، ١/ ٣٤٣).

٤ الخشني: محمد بن حارث (ت٣٦١هـ/ ٩٧١م)، **قضاة قرطبة**، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط١، بيروت، ١٩٨٢م، ص٣.

٥ موسى رزق ريحان، المذاهب **الفقهية وسيادة مذهب مالك**، ص٢٤٦.

٦ **المذهب المالكي:** نسبة للإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمر بن الحارث، ولد سنة ٩٣ه وقيل ٩٤ه بالمدينة، وهو إمام دار الهجرة، وأحد أئمة المذاهب السنية الأربعة المشهورة، اشتهر بكتابه الموطأ، توفي سنة ١٧٩ه/ ٧٩٥م. (القاضي عياض: أبو الفضل موسى بن عياض اليحصبي (ت٥٤٤ه/ ١١٤٩م)، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، ط١، فضالة المحمدية، المغرب.١/ ١٠٢).

٧ المقري: أحمد بن محمد بن علي (ت١٠٤١ه/١٦٣٤م)، **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، حققه: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ٤/ ٢١٤.

٨ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، ١/ ٤٥٧.

٩ ابن الفرضي، السابق، ١/ ٢٠٢، ابن فرحون: برهان الدين إبراهيم بن علي (ت٧٩٩هـ/١٣٩٦م)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، دراسة وتحقيق: مأمون بن محيي الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ١٩٩٦م ،١/ ٣٥٩.

(ت٢٣٤هـ/ ٨٤٨م)، وعيسى بن دينار(ت٢١٢ه/٨٢٧م)[١]، الذين عملوا على نشر المذهب. وأول من أدخل الموطأ إلى الأندلس وعمل على إذاعته ونشره هو المُؤَدِّب الغازي بن قيس (ت١٩٩ه/ ٨١٥م)؛ ولهذا تدور معظم الدراسات الفقهية في إطار هذا المذهب، فقد اعتمد فقهاء المالكية على تدريس كتاب "الموطأ" في حلقاتهم العلمية، وكان بمثابة المرجع الرئيسي في تدريس الفقه في المساجد وبيوت العلم[٢]، ولم يقتصر التعليم على المذهب المالكي، بل كان لبعض المذاهب الأخرى نصيب، مثل: المذهب الأوزاعي –الذي تحدثت عنه سابقًا– والمذهب الشافعي[٣].

المذهب الشافعي:

أما المذهب الشافعي فقد عمل على نشره –عن طريق التدريس والتأليف– الفقيه قاسم بن سيار (ت٢٧٧ه/٨٤٢م)[٤]بتشجيع من الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨–٢٧٣ه/٨٥٢–٨٦٦م)، حيث رحل إلى المشرق ودرس على كبار شيوخ الشافعية، ولمَّا عاد إلى الأندلس انصرف إلى نشر مذهب الشافعي، ومن مؤدبي الشافعية بقي بن مخلد (ت٢٧٦ه/٨٨٩م) الذي نصره الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨–٢٧٣ه/ ٨٥٢–٨٦٦م) في وجه المالكية عندما تحالفوا ضده، وذلك بالسماح له بنشر علمه[٥]، وهارون بن نصر (ت٣٠٢/٩١٥م) تلميذ بقي بن مخلد (ت٢٧٦ه/٨٨٩م) الذي عني بكتب الشافعي وتفقه فيها[٦]، ولكن لم يكن للمذهب الشافعي قوة المذهب المالكي؛ ربما كان السبب في ذلك أن دخوله كان بعد تأصل تربة وجذور المذهب المالكي وترسيخ قواعده، إضافة إلى أن توقيت التفقه في المذهب الشافعي كان في القرن الرابع الهجري وانتشار العلوم والتنوع فيها؛ مما كان له أثره في التركيز على علم بعينه ونشره، كما أن الذين نقلوا العلم الشافعي لم يرووا عن الإمام مباشرة كما كان الشأن بالنسبة لتلاميذ الإمام مالك[٧]، وكان الأمير الحكم الثاني يحتفظ في مكتبته بنسخة من كتاب "الأم" للشافعي[٨].

---

١ **عيسى بن دينار:** هو أبو عبد الله بن دينار بن واقد الغافقي، أصله من طليطلة وسكن قرطبة، رحل إلى المشرق فسمع من ابن القاسم العتقي بمصر وأصحابه، كان عالمًا بالفقه، ووصف بأنه فقيه الأندلس، وكانت الفتيا تدور عليه، لا يتقدمه في وقته أحد. (ابن الفرضي، السابق، ص٥٥٦، القاضي عياض، السابق، ٤/ ٥٣٦).

٢ محمد عبد الحميد عيسى، **تاريخ التعليم في الأندلس**، إشراف: لويس سواريث فرناديث، تقديم: عبد الغني عبود، ط١، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٨٢م، ص٢٩٦– ٢٩٧.

٣ ميلود بن حاج، **التربية والتعليم في الأندلس (من عصر الإمارة الأموية إلى عصر ملوك الطوائف)**، رسالة دكتوراه، إشراف: سامية أبو عمران، كلية العلوم الإنسانية– قسم التاريخ، جامعة الجزائر – أبو القاسم سعد الله، الجزائر ٢٠١٥– ٢٠١٦م، ص٢١٧.

٤ ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، ١/ ٤٥٦–٤٥٧

٥ ابن الفرضي، السابق، ١٤٣/١، ميلود بن حاج، **التربية والتعليم**، ص٢١٨.

٦ **هارون بن نصر (ت٣٠٢/٩١٥م):** من أهل قرطبة، يكنى أبا الخيار، صحب بقي بن مخلد نحوًا من أربع عشرة سنة، وأكثر الرواية عليه، وكان قد مال إلى كتب الشافعي، فعني بها وحفظها وتفقه فيها، وكان من أهل النظر والحجة. (ابن الفرضي، السابق، ٢١١/٢).

٧ ريحان، **المذاهب الفقهية**، ص٢٥٥.

٨ بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص١١.

وننتقل إلى مذهب فقهي آخر عرفته قرطبة وهو المذهب الظاهري، نسبة إلى داود بن سليمان الظاهري.

المذهب الظاهري:

دخل قرطبة بواسطة الفقيه عبد الله بن محمد بن هلال (٢٧٢هـ/٨٨٦م)[١] الذي تتلمذ على يد داود الأصبهاني[٢] بالعراق، وبعد رجوعه إلى الأندلس نشر علمه بالتدريس، وتتلمذ على يديه الفقيه محمد بن عبد الملك (ت٣٣٣هـ/٩٤٥م) الذي ألف كتابًا في السنن على تصنيف داود الأصفهاني، وأخذ عنه محمد بن قاسم (ت٣٤٠هـ/٩٥٢م)[٣]، ويعد الإمام علي بن حزم (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م) من أقطاب وشيوخ المذهب الظاهري[٤]، ورغم ارتباط بعض الوظائف في الدولة بهذا العلم، مثل: تحرير العقود والوثائق والفرائض، والتي تعد تطبيقًا عمليًّا لمبادئ المذهب الفقهي، إلا أن هذا المذهب لم يكن له مكان الصدارة في قرطبة؛ لتَمكُّن المذهب المالكي في نفوس الناس[٥].

ومن تلاميذ المذهب الظاهري وأتباعه: القاضي أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطي (ت٣٥٥هـ/٩٦٥م) قاضي الجماعة بقرطبة، وعبد الله بن محمد بن قاسم (ت٢٧٢هـ/٨٨٥م)، وأبو الخيار مسعود بن سليمان[٦]، وابن حزم (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م)[٧] الذي جاهد جهادًا عنيفًا في سبيله، ودافع عنه وعمل على تنقيحه، ووضع كتبًا في بسطه، مثل: كتاب "كشف الالتباس ما بين الظاهرية وأصحاب القياس"[٨]، وباعتناقه لهذا المذهب فُتِحَت له آفاق واسعة، واحتدم الصراع بين ابن حزم (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م) وحماة المالكية، مثل: أبي الوليد سليمان الباجي (ت٤٧٤هـ/ ١٠٨١م)، ومن علماء المذهب -أيضًا- أبو

---

١ ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، ١/ ٢٩٧.

٢ **داود الأصبهاني:** داود بن علي بن خلف، البغدادي المعروف بالأصبهاني (٢٠٠-٢٧٠هـ)، إمام مجتهد وفقيه ومحدث، يعد مؤسس وإمام أهل الظاهر، يكنى بـ"أبي سليمان"، واشتهر بهذه الكنية، لكن اشتهاره باسمه "داود بن علي" كان الأشهر، نُسب إلى أصبَهان، وهناك من يرى أن الإمام الكبير داود بن علي ليس من أصبهان، وإنما هو عراقي بغدادي، ونسبته لأصبهان؛ لأن أمه أصبهانية، كان بصيرًا بالفقه، عالمًا بالقرآن، حافظًا للأثر، رأسًا في معرفة الخلاف، من أوعية العلم، له ذكاء خارق. (**الذهبي:** شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م)، **سير أعلام النبلاء**، حقق هذا الجزء: بشار عوّاد معروف- محيي هلال السرحان عوّاد، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥م، ١٣/ ٩٨).

٣ ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، ١، ٢٩٧.

٤ ابن شكوال: **الصلة**، ٢/ ٦٠٥.

٥ ريحان، **المذاهب الفقهية**، ص٢٥٦.

٦ **أبو الخيار مسعود بن سليمان:** وهو مسعود بن سليمان بن مفلت الشنتريني القرطبي الأديب، زاهد، خير، متواضع، كبير القدر. كان لا يرى التقليد، وقد ذكره أبو محمد بن حزم وأثنى عليه فقال في كتاب إرشاد المسترشد: لقد كان لأهل العلم وابتغاء الخير في الشيخ أبي الخيار معتقد قوي ومقصد كاف، نفعه الله بفضله وبعلمه وصدعه بالحق، ورفع بذلك درجته، وهو شيخ ابن حزم. (الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ٢٩، ١٨٤).

٧ **ابن حزم:** أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦)، كان مالكيًّا بحكم نشأته، ثم درس الفقه المالكي وقرأ الموطأ، إلا أنه ترك المذهب المالكي وتحول إلى الشافعي، فدرسه وأخذ عنه وتعصب له، ولكنه تركه وشد الرحال إلى المذهب الظاهري. (ابن بسام الشنتريني: أبو الحسن علي بن بسام (ت٥٤٢هـ/١١٤٧م)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت- لبنان ١٩٩٧م.، مج١، ص١٦٧- ١٦٩، ابن حزم الظاهري: علي بن أحمد (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م)، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٥، دار المعارف، القاهرة، ص٦).

٨ ابن بسّام، السابق، مج١، ص١٧١.

رافع الفضل بن علي بن أحمد بن حزم (ت٤٧٩هـ/١٠٨٧م)، ومن الفقهاء الظاهريين: سالم بن أحمد بن فتح أبو النجاة (ت٤٦١هـ/١٠٦٩م).

ومما سبق تقديمه تبرز صورة المذاهب الإسلامية، وتتبين الصورة واضحة ابتداءً من المذهب الأوزاعي مرورًا بالمذهب الشافعي، وانتهاءً بالمذهب المالكي فالظاهري.

الخاتمة:

١- ظهرت عدة فرق إسلامية في قرطبة؛ نتيجة تأثير مؤدبي الدولة، كالشيعة والأشعرية والمعتزلة.

٢- ممن أسهم في نشر الفكر الشيعي المُؤَدِّب عباس بن ناصح الثقفي (ت٢٣٠ه/٨٥٢م)، وانحصرت الشيعة في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي في مذهبي الباطنية والكيسانية.

٣- انتشر الفكر المعتزلي بقرطبة عن طريق شخصين؛ الأول: أبو جعفر أحمد بن هارون، والثاني: هو الطبيب أبو بكر بن فرج بن سلام القرطبي الذي سافر إلى المشرق والتقى بالجاحظ، وتعلم على يديه، وهو أول من أسس المدرسة الاعتزالية بالأندلس على أسس بدائية، أما المؤسس الحقيقي لمدرسة الاعتزال وهو محمد بن مسرة القرطبي (ت٣١٩ه/٩٣١م).

٤- كان لأهل العلم دور بارز في نشر الفكر الأشعري من خلال رحلاتهم إلى المشرق؛ كالمحدث أبي عمر الطلمنكي (ت٤٢٩ه/ ١٠٣٧م)، وأبي عمرو الداني المقرئ (ت٤٤٤ه/ ١٠٥٣م). وقد راجت الأشعرية وانتشرت أفكارها في عصر الخلافة.

٥- أول من أدخل المذهب الأوزاعي إلى الأندلس الفقيه صعصعة بن سلام الدمشقي (ت١٩٢ه/٨٠٨م)، ولكنه اندثر أو ضعف شأنه بسبب عدم نشر تلاميذ الأوزاعي لعلمه، كما حدث مع مذهب الإمام مالك، ومن هنا تحول المذهب المتبع في قرطبة من المذهب الأوزاعي إلى المذهب المالكي.

٦- الذين نشرا مذهب مالك في قرطبة هما الغازي بن قيس (ت١٩٩ه/ ٨١٥م)، وقرعوس بن العباس (ت٢٢٠ه/ ٨٣٥م)، وذلك بعد تولي الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل (١٧٢-١٨٠ه/ ٧٧٨-٧٩٦م).

٧- وممن عمل على نشر المذهب الشافعي عن طريق التدريس والتأليف هو الفقيه قاسم بن سيار (ت٢٧٧ه/٨٤٢م) بتشجيع من الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣ه/٨٥٢-٨٦٦م)، والفقيه هارون بن نصر (ت٣٠٢/٩١٥م) تلميذ بقي بن مخلد (ت٢٧٦ه/٨٨٩م) الذي عني بكتب الشافعي وتفقه فيها.

٨- دخل المذهب الظاهري إلى قرطبة بواسطة الفقيه عبد الله بن محمد بن هلال(٢٧٢ه/٨٨٦م)، الذي تتلمذ على يد داود الأصفهاني بالعراق ويعد الإمام علي

بن حزم (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م) قطب من أقطاب وشيوخ المذهب الظاهري، إلا أن هـذا المذهب لم يكن له مكان الصدارة في قرطبة؛ لتَمكُّن المذهب المـالكي فـي نفـوس الناس.

ثبت المصادر والمراجع:

المصادر:

١. **ابن الأبار:** أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق: عبد السلام الهراش، إشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت– لبنان ١٩٩٥م.

٢. **ابن بسام الشنتريني:** أبو الحسن علي بن بسام (ت٥٤٢هـ/١١٤٧م)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت– لبنان ١٩٩٧م.

٣. **ابن حزم الظاهري:** علي بن أحمد (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م):

- **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٥، دار المعارف، القاهرة.

٤. - **الفصل في الملل والنحل والأهواء**، تحقيق: محمد إبراهيم نصر– عبد الرحمن عميرة، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١/ ٣٧٦– ٣٩٣ .

٥. **ابن خلكان:** شمس الدين أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، حققه: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

٦. **ابن سعيد المغربي:** أبو الحسن علي بن موسى (ت٦٨٥هـ/١٢٧٤م)، **المُغرب في حُلَى المغرب**، حققه: شوقي ضيف، ط٤، دار المعارف، القاهرة ٢٠٠٩م.

٧. **ابن عذاري المراكشي:** أبو عبد الله محمد (٦٩٥هـ/١٢٩٥م)، **البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب**، حققه وعلق عليه: بشار عواد معروف– محمود بشار عواد، ط١، دار الغرب الإسلامي، تونس ٢٠١٣م.

٨. **ابن فرحون:** برهان الدين إبراهيم بن علي (ت٧٩٩هـ/١٣٩٦م)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، دراسة وتحقيق: مأمون بن محيي الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان ١٩٩٦م.

٩. **ابن الفرضي:** أبو الوليد عبد الله محمد بن يوسف الأزدي (ت٤٠٣هـ/١٠١٢م)، **تاريخ علماء الأندلس**، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٨م.

١٠. **الحميدي:** محمد بن فتوح بن عبد الله (ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م)، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، حققه وعلق عليه: بشار عواد معروف– محمد بشار عواد، ط١، دار الغرب الإسلامي، تونس ٢٠٠٨م.

١١. **الخشني:** محمد بن حارث (ت٣٦١هـ/ ٩٧١م)، **قضاة قرطبة**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط١، بيروت١٩٨٢م.

١٢. **الذهبي:** شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨ه/١٣٤٨م)، **سير أعلام النبلاء**، حقق هذا الجزء: بشار عوّاد معروف– محيي هلال السرحان عوّاد، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥م.

١٣. **الشهرستاني:** محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨ه)، **الملل والنحل**، صححه وعلق عليه: أحمد فهمي محمد، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١/ ١٤٤– ١٤٥.

١٤. **القاضي عياض:** أبو الفضل موسى بن عياض اليحصبي (ت٥٤٤ه/ ١١٤٩م)، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، ط١، فضالة المحمدية، المغرب.

المراجع:

١. محمد عبد الحميد عيسى، **تاريخ التعليم في الأندلس**، إشراف: لويس سواريث فرناديث، تقديم: عبد الغني عبود، ط١، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٨٢م.

٢. محمود علي مكي: **التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية**، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٤.

الرسائل العلمية:

١. عبد الباقي السيد عبد الهادي، "**الفرق الإسلامية في الأندلس في عصر الخلافة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م – ٤٢٢هـ / ١٠٣١م**"، حولية سيمنار التاريخ الإسلامي الوسيط، الناشر الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد (٥) ٢٠١٧، ص ٩٤.

٢. موسى رزق ريحان، "**المذاهب الفقهية وسيادة مذهب الإمام مالك بالأندلس**"، "مجلة كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية– كلية الشريعة وأصول الدين، عدد ٣، ١٩٨٣، ص٢٤٣.

٣. ميلود بن حاج، **التربية والتعليم في الأندلس (من عصر الإمارة الأموية إلى عصر ملوك الطوائف)**، رسالة دكتوراه، إشراف: سامية أبو عمران، كلية العلوم الإنسانية– قسم التاريخ، جامعة الجزائر– أبو القاسم سعد الله، الجزائر ٢٠١٥– ٢٠١٦م.

المقالات الإلكترونية:

١. مانع بن حماد الجهني، الأشاعرة، مقال على موقع قصة الإسلام، https://islamstory.com/ar/artical/ ٢٠٥٥١.

المراجع المترجمة:

١. آنخل جنثالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، نقله عن الإسبانية: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٥٥م.